إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الخامسة – العدد التاسع عشر – خريف ١٣٩٤ش / أيلول ٢٠١٥م
صص ٦١ ـ ٤١

دراسة صَدى المقاومة فى شعرعدنان الصائغ

حامد صدقى*
سيدعدنان اشكورى (الكاتب المسؤول)**
صغرى فلاحتى***
صبرى جليليان****

الملخص

يعدّ أدب المقاومة مظهراً للضمير اليقظ المتصدّى لتعسّف الأعداء والمطالب بإعادة الحقوق الإنسانية المغتصبة، وردَّ فعلٍ جماعى أمام هيمنة الظالمين، سواء كانوا من داخل البلاد أو خارجها. لقد شهد العراق فى العقود الأخيرة سنوات سوداء استفحلت فيها سياسة الرعب، والكبت، والتنكيل، ورزح تحت وطأة حروب طاحنة أذكي نيرانها النظام البعثى البائد، هذا بالإضافة إلى الهجوم الأميركى الغاشم والعقوبات العالمية المفروضة التى لم تثقل إلّاكاهل الشـعب العراقى البائس، ممّا مهّد لظهورأدب المقاومة وبروز شعراء مناضلين عراقيين فى العراق والمنفي. ومن هؤلاء، الشاعر المعاصر عدنان الصائغ (ولد ١٩٥٥م). حيث تتكوّن مادّته الشعرية من: صرخات الاعتراض تجاه الظلم البعثى والاحتلال الأميركى وغطرسة قوي الاسـتكبار العالمى، ونداءات التضامن مع الحركات الشعبية، والدفاع عن الشعب الفلسـطينى المظلوم. وهذا المقال هو عبارة عن محاولة لاستجلاء مظاهر المقاومة فى شعر الصائغ ضمن أسـاليبه البيانية وذلک فى إطار وصفى – تحليلى. حيث نراه يوظّف شـتى الأسـاليب من أجل البوح بما تجود به قريحته الشـعرية، ومن تلک الأساليب: استدعاء الحوادث الدينية والتاريخية، واسـتخدام قناع بعض الشـخصيات التاريخية، والقصائد القصصية، وعنصر الحوار، والفكاهة، والسخرية، والرموز الطبيعية.

الكلمات الدليلية: الأدب العراقى الحديث، شعر المقاومة، عدنان الصائغ.

*. أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران
**. الأستاذ المساعد لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران
eshkevari@khu.ac.ir
***. الأستاذة المساعدة لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران
****. طالبة مرحلة الدكتوراة لفرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران
aa.sabri84@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندى
تاريخ الوصول: ١٣٩٣/١٠/١٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٤/٥/١٠ش

المقدمة

إنَّ اللغــة مرآة حال الأمة وســجلّ مفاخرها والشــاهد على مجدهــا فى المجالاتِ الاجتماعية والأدبية والسياسية والإدارية، تعزُّ بعزّةِ أمتها، وتذلُّ بذلتها. (أحمدعثمان، ٢٠١١م: ٩) ولــلأدب والمجتمــع صلات متقابلة حيث يؤثّر أحدهمــا فى الآخر. وأدب المقاومــة شــاهد علي هذه الحقيقة. وأدب المقاومة هى «الشــحنة الّــتى تنقدُ الوجدان المتعب من الاستســلام أمام (الأمر الواقع) أو الوحش البحرى الّذى قد يتجسُــد حينا فى غــازٍ أجنبى، وحينا أخر فى ســلطة طاغية وحيناً ثالثاَ فى قهــر اجتماعى... إلى غير ذلــك مــن صور الضغوط الّتى تلاحقُ الانســان أينما كان و فى أى زمانٍ.» (شــكرى، ١٩٧٠م: ٦) لقد عاش الشــعبُ العراقى فى عهد ســطلة البعث حقبــة من الزمن ملؤها القتل، والقمع، والحروب المتواصلة، والاحتلال، والمقاطعة، والفقر المدقع فى فترةِ ســلطةِ حــزبِ البعثِ. هذه الظروفِ مهّدت الأرضيةَ المناســبةَ لظهورِ أدبِ المقاومةِ والشــعراء المناضلــين كـ"عدنان الصائغ". وُلِدَ عدنان الصائغ فى مدينــةِ الكوفةِ عام ١٩٥٥م. وقد زجّت به السلطات جندياً فى الحرب العراقية المفروضة علي جمهورية ايران الإسلامية. شــارك فى العديد من النشاطاتِ السياسيةِ ضدّ السلطةِ البعثيةِ وأطلقت عليه السلطات البعثيةُ تهمةَ "الــردة". (حمدى، ٢٠١٠م: ٤٥٩-٤٦١) غادرَ الوطن صيف ١٩٩٣م نتيجةً للمضايقــات الفكريةِ والسياســيةِ الّتى تعرض لها. وتنقّل فى بلــدان عديدة، منها عمان وبيروت، حتى وصولهِ إلى الســويد فى خريف ١٩٩٦م، وإقامتهِ فيها لســنواتٍ عديدةٍ، ثمَّ اســتقرّ بعدها فى لندن منــذُ منتصفِ ٢٠٠٤م. صدرت له مجموعات شــعرية عديدة، منهــا: "انتظرينى تحت نصبِ الحريةِ"، "أغنيات على جســر الكوفة"، "العصافير لا تحبّ الرصــاص"، "سماءٌ فى خوذة"، "غيمةُ الصمــغ"، "تحتَ سماء غريبة"، "خرجتُ من الحرب سهواً" (مختارات شعرية)، "تكوينات"، "نشيد أوروك"، "صراخٌ بحجمِ الوطن" (مختارات شــعرية)، "تأبّط منفى"، و... حصل عدنان الصائغ على جوائز عالمية مختلفة. (مؤسســة عبدالعزيز ســعود البابطين، مج٣، ١٩٩٥م: ٤٧٤ والزريبى، ٢٠٠٨م: ١-١٠) ومجموعاته الشعرية مليئةٌ بمشاعر المقاومة أمام الظلمِ والاضطهاد الداخلى والخارجىّ.

يهدفُ هذا المقال دراســةَ عناصر المقاومةِ فى أشــعار عدنان الصائغ ضمنَ دراســة

أسلوبهِ الشعرى فى هذا المجال. وقد تمّت دراساتٌ مختلفةٌ فى الأدبِ المقاوم. أما موضوع شــعر الصائغ، فقد نوقش فى جامعة بغداد عام ٢٠٠٦من خلال رســالة ماجستير حملت عنوان "شعر عدنان الصائغ؛ دراسة أسلوبية" قدمَها الباحث والشاعر عارف الساعدى، وفى موقعِ الشــاعر علي شــبكة الإنترنت ثمة مقالاتٌ عديدةٌ فى موضوعات مختلفةٍ، وفى بعضِها إشاراتٌ عابرةٌ إلى معانى المقاومةِ عندَ الصائغ. يعدُّ مقالُنا هذا تكملةً لكلّ ما فى موقعِ الشــاعر. أمّا فى ايران فإنّ هذه الدراسة تعدّ الأولى من نوعها إذ لم يسبق لباحث أن تطرّق لشعره المقاوم وأساليبه الشعرية.

ويهدف المقال الإجابة عن هذه الأسئلة:

١. ما هى أهمُّ عناصرِ المقاومةِ الّتى انعكست فى شعر عدنان الصائغ؟

٢. ما هوَ أسلوبُهُ الشعرى فى تبيين عناصرِ المقاومةِ؟

منهج البحث وصفى- تحليلى. وقد استخرجنا عناصرَ المقاومةِ من دواوينِهِ الشعرية مباشرةً وحلّلناها ضمنَ دراسةِ بعض أساليبِهِ الشعرية.

عناصرُ المقاومة فى شعرِ عدنان الصائغ:

ليســت المقاومةُ، هى الصمودَ أمامَ الاحتلالِ الأجنبى فقط، بل يندرج الصمودُ أمامَ الحكمِ الاســتبدادى فى البلد مقاومةً أيضاً. ففضح السياسة المكيافيلية الخادعة وإماطة اللثام عن الوعود الزائفة وتنبيهُ الشــعبِ وتوعيتــه بواقعه المرير تعدّ نوعاً من المقاومةِ. والأدبُ الّذى يســيُر فى هذا الطريق لا يليق به إلاّ أن يسـّمي بأدب المقاومةِ. وقد شمّر عدنان الصائغ عن ســاعد الجدّ فى تعرية حزب البعث وعارضَ بشــدّة سياسة الغطرسة والاســتبداد، بحيــث أدرجته جريدة "بابــل" العراقية فى عددها الصــادر فى ١٣ اكتوبر ١٩٩٦م ضمن قائمة من "المرتدّين" شملت عدداً من المثقّفين والأدباء العراقيّين فى المنفي. والمعروف عن هذه الجريدة أنّ "عدى صدام حسين" هو الذى كان يشرف عليها مباشرة. (حمــدى، ٢٠١٠م: ٤٤٧) إلاّ أنّ ذلــک لم يمنع الصائغ عن مواصلة الدرب بفضح مقاصدِ السلطةِ البعثيةِ المشؤومةِ مِن جانبٍ وبالتنديد بالاحتلالِ الأمريكى مِن جانبٍ آخر.

ومن هنا فإنّا نقسّمُ عناصرَ المقاومةِ فی أشعارهِ علي قسمَين: الأوّل: المقاومةُ أمامَ الاستبداد الداخلی (البعث) والثانی: المقاومةُ أمامَ الاحتلالِ الأجنبی.

أوّلاً: مقاومةُ الاستبداد الداخلی (سلطة البعث):

سيطرت سلطةُ البعثِ على العراق سنة ١٩٦٨م. حينما تولّى زمامَ الحكمِ "أحمدحسن البكر" وتولّى "صدام تكريتی" الأمانَة العامّة لحزبِ البعث العراقی. قد تربّعت هذه السلطة علي العرش بعد أن أزاحت جميع معارضيها ونكّلت بكثير منهم، وقد وظّفت ريع الموارد النفطية لخدمة أهدافها التوسّعية وتجهيز الجيش وتعزيز قدراته الحربية. (كاگلن، ١٣٨٣ش: ٢٣٧– ٢٣٨) وكان للقدرة العسكرية الفائقة التی تزوّد بها صدام حسين أثر بارز وجلیّ دفعه إلى زجّ العراق فی حربين عدوانيّتين ضدّ الدول المجاورة سُمّيتا فيما بعد بحربی الخليج [الفارسی] الأولى والثانية. وقد أدّي تعطّش صدام لكسب القدرة إلى إحلال العراق فی دار بوار زادت من مأساة شعبه وأرجعت تطوّره إلى الوراء لعدّة عقود من الزمن. (رفيعی، ١٣٨٢ش: ١٣١ و ١٣٩)

وقد تمثّلت مواقف عدنان الصائغ تجاه سياسات القمع والإرعاب البعثية فی الأمور التالية:

معارضة سياسةِ الكبت والقمع والإرعاب التی انتهجتها السطلة البعثية:

لقد انتهج صدام حسين فی الحقبة التی فرض سلطته علي الشعب العراقی سياسة رقابة صارمة وعنيفة، بحيث عبّر أحد الساسة العراقيّين فی الثمانينات من القرن المنصرم، إنّ صدام بات يُحكم قبضته علي العراق من خلال نظام تجسّسی متطوّر، يقوم خلاله ثلاثة ملايين مخبر بمراقبة أحد عشر مليون نسمة من الشعب العراقی. (رفيعی، ١٣٨٢ش: ٧٥– ٩١) وقد تعدّدت أجهزة الرقابة والتجسّس فی العراق تحت مسمّيات عديدة من أمن، ومخابرات، واستخبارات، ومنظمات حزبية، وجيش شعبی، وطلائع، وفتوّة واتحادات الطلبة والعمّال وسائر الشرائح، وفدائيّی صدام، وما إلى ذلک من أجهزة كانت تتباري فيما بينها للإيقاع بأكبر عدد من المشتبه بهم، والفتک بأبناء الشعب، وإرعابهم. وجلّ

اعتراضات عدنان الصائغ توكّد علي سياسات الإرهاب والتهديد والمطاردة التى عجّت بالعراق. ديوانُهُ، "نشيد أوروك" تفوح منه مشاعر الخوف والرعب حيث ينقل حكاياتِ شخصٍ اسمُهُ "عبود". وقد جعل عدنان من "عبود" هذا رمزاً للذين اعتُقلوا وزُجّ بهم فى السجون وعُذِّبوا بأبشعِ صورٍ للاستجواب:

فوقَ طاولةٍ للمحقّق، ممسوحةٍ / و هوَ يسألُنى عنک.... وكانَ لعابُ السبابِ
يسيلُ / على شفتَيهِ / فيمسَحُ فى كمّهِ المتآكل شاربَهُ الكثّ، متّسخاً مثلَ الخنازيرِ
أينَ أخفيتَ عبود؟
فى الريح ...
أيها الكلبُ، هل تتجرّأُ تسخرُ منّا؟ (الصائغ، ١٩٩٦م: ٧٠- ٧١)

هناک يجرى حــوارٌ بينَ مفتّشٍ ومخاطبٍ مجهولٍ حولَ "عبــود"، يقصدُ المفتّشُ الّذى يصفُهُ الشــاعر بالخنزير، الاطّلاعَ على أحوالِ "عبود"، يغضبُ ويســبّ المخاطبَ بأقذع الشــتائم ويعذّبــه حينما يُجيبُه بجــوابٍ غير مرتبط. ثمّة مقطوعات شــعرية كثيرة تجدها فى ديوانِ "نشــيد أوروک" حولَ هذه الشــخصيةِ. وكأنّ الشــاعر لا همّ له إلّا أن يوضّح الظروفَ السياسيةَ التى سادت العراق آنذاک وخاصةً الظروف التى صودرت فيها حرّية الرأى، كلّ ذلک يجرى عبرَ الحوارات الّتى تدور بين هذه الشــخصية ومستجوبيهِ. ينظمُ الشــاعرُ كلَّ هذه الأشعار بأسلوبٍ مسرحيٍّ ليجسّمَ شدّةَ الإرعابِ والوحشةِ للسامعينَ، ومن الأمثلةِ الأخرى فى هذا المجال:

وعبودُ أينَ؟
-.....
.....
عبودُ فى السجن يركلُهُ الحارسُ الفظّ
كان المفوّضُ ينقلُ عينيهِ
بينّ الأضابيرِ والزرّ
أكنتَ تخطُّ الشعارات ضدَّ الوطن
الحكومة ليست وطن

.....

.....

خائن (الصائغ، ٢٠٠٦م: ٤٨٨-٤٨٩)

لغــةُ الحــوار تبتعدُ بالقصيدةِ عن الغنائيــةِ، عن جوّ المباشــرة والتقرير والامعان فى الذاتية بها من النزعة الدرامية، والتفكيرالواقعى ولغة الحوارقريبةٌ من أسلوبِ التجسيم، والصور المحسوسـةِ، وتبتعدُ بالشعر عن لغةِ التجريد والشاعر المعاصر استغل التخاطبَ فى شــكلِ الحوار فى جزء من القصيدةِ وبالقدر الذى يســتطيعُ فيه أن يجســدَ الصراعَ، ويضفى الحيويــةِ، والتفاعل، والحركة على قصيدته (الكبيســى، ١٩٨٢م: ١١٤-١١٥) يصوّرُ الشاعر فى هذا الحوار أوضاعَ "عبود" السيّئةَ، يشرحُ كيفَ يركلُهُ الحارسُ ويتّهمُهُ المفتّشُ بالخيانة دونَ دليلٍ وســندٍ ويعربُ الشــاعرعن لســانِ عبود عن هذه الحقيقة أنّ الحكومةَ ليســت الوطــن وإن خالَفَ عبودُ الحكومةَ فإنّه لم يخــن الوطن. الافتراء على المعارضين طريقةُ البعثيين الّتى يصوّرها عدنان الصائغ فى حوارٍ دقيقٍ وبأسلوبٍ قصصيٍ ومسرحيٍ ليحرّض المخاطبينَ على متابعة القصة ويجسّد لهم الوضع الراهن فى العراق.

يشــبّهُ عدنان الصائغ قوّاتِ الأمن بالكلبِ كما شــبَّههم بالخنزيــر ليُميطَ اللثامَ عن حقيقةِ الذاتِ لهذه الشخصيات. ويتصوّرُ الشاعر أنّ هذه الكلاب البوليسية ستداهم بيته فى يوم ما وستأتى علي شعره كلّه لتبيده عن بكرة أبيه حتى ولو من وراءِ ذهنِهِ وستقتله بكلّ برودة أعصاب:

..... فأنــا أعرفُ بالتأكيد / إنّهم ســيقرعونَ البابَ ذات يومٍ / وســتمتدُ أصابعهم المدربةُ كالكلابِ البوليســية إلى / جواريرِ قلبى / لينتزعوا أوراقى / و..... / حياتى / ثمّ يرحلونَ بهدوءٍ (الصائغ، ٢٠٠٤: ١١)

لقد أنشد عدنان هذه المقطوعة بعدما قُتل صديقه الشاعر "على الرماحى"، وقد كانت تربطه به صداقة حميمة وعلاقات ودّية، فترك مقتله فى عدنان مجموعة من التســاؤلات البدهية عن أســبابه فلم يهتد إلى أجوبة مقنعة وهدّته الفجيعة والشــعور المحبط بأجواء الرعب والكبت التى فُرضت علي بلده. والملفت فى شــعرعدنان أنّه يصف حذاقة كلاب الأمن والمخابرات فى اســتخراج كلّ دفين فى مخبأ أسرار الذات، ومن ذلک شعره الذى

لم يبــح به لأحد بعد، وبذلک يصوّر لک وخامة الأمر ومدي توجّســه من أجهزة الأمن والمخابرات الصدامية.

وفى موقف آخر يوظّفُ الشاعر فى تصاويره شخصيةً تاريخيةً كـ"هولاكو" قناعاً لصدام حســين وشــدّةِ ظلمِه واســتبدادِه. فقد هجمَ المغول على بغداد سنة ٦١٧ واحتلَّ هلاكو بغدادَ وبدأ مسلسلٌ جديد من العذابِ والمشقّةِ للشعبِ العراقى (الغريرى، ٢٠٠٤م: ١٤) وكان لشــدّة الدمار الذى تعرّضت له بغداد آنذاک أثرٌ بالغٌ لتُوظَّفَ شــخصيةُ هولاكو فى الشــعر العربى قناعاً للتوحشِ والدمارِ. فنري عدنان مثلا يستدعيها من طيّات التاريخ ليرسمَ شدّة القمع فى حكومةِ صدام حسين. يصوّرُ الشاعر كابوساً، يرى نفسَهُ والحرّاسُ يجرّونه إلى عرشِ هولاكو ويريدُ الجلّادُ أن يســلخَ رأسَهَ لأنّهُ لم يمدح الحاكمَ القاسى، ثمَّ يهوى الجلّادُ بسيفه العريض على عنقِ الشاعر، وفى النهايةِ يستيقظُ الشاعر من كابوسِهِ مبلّلاً بالعرقِ:

قادنى الحراسُ إلى هلاكو /كان متربعا على عرشــه الضخم / وبينَ يديهِ حشّــد من الوزراءِ والشــعراءِ والجوارى / سألنى لماذا لم تمدحنى / ارتجفتُ مرتبكا هلعا: يا سيدى أنا شــاعرُ قصيدةِ نثر / ابتســمَ واثقاً مهيباً: / لايهمک ذلک.. / ثمّ أشارَ لسيّافهِ الأسود ضاحكاً / علِّمهُ إذاً كيفَ يكتبُ شــعراً عمودياً / وهوى بســيفِهِ الضخم / على عنقى / فتدحرجَ رأســى، / واصطدمَ بالنافذةِ الّتى انفتحت من هول الصدمةِ فاســتيقظتُ هلعاً يابــسَ الحلقِ، / لأرى عنقى مبللاً بالعرقِ، وكتابَ الطــبرى مازالَ جاثماً على صدرى (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٨١)

نظمَ الشــاعر هذه الأشــعارَ بأســلوبٍ قصصىٍّ وفيهــا عناصرُ القصةِ كـ"الشــروع" و"العقدة" (أنا شــاعرُ قصيدةِ النثر) و"ذروةُ الأزمة" (وهوى بســيفِهِ الضخمِ على عنقى) و"الحلّ" (فاســتيقظتُ هلعاً) ليصوّرَ حقيقةَ حريةِ الرأى فى العراق. يتوقّع صدام حســين مــن المفكرين والأدبــاء أن يخضعوا لهُ ويصفّقــوا لجرائمِه. لكنّ عدنان الصائغ شــاعرٌ ثاقــبُ الرأى، يســلط الأضواء علي الحقائق فى أشــعارِه؛ لهذا مــاكانَ مرغوباً به عندَ النظامِ الحكومى وكانَ مطارداً من قِبَلِ السلطةِ البعثيةِ وأدرک الخطرَبتمامِ وجودِه. الجوُّ الّذى يصفُهُ الشــاعر، ســيطَرَ على الحياةِ اليوميةِ فى العراقِ ويدركه الناس تماماً؛ لذلک

رسمه عدنان فی أسلوبٍ قصصیٍ واستخدم الأفعال الماضية أكثر من المضارعة، بما أنّ الشاعريستذكر مشاهد الرعب والوحشة التی كانت تحيط به من قبلُ فی الوطن، وبما أنّه لايريدُ أن يتكرّر ويستمر الكابوس، فإنّه يتعمّد وصفه بأفعال ماضيةٍ وكأنّها قصّة مريرة مضت ولن تعود.

ب-التنديد بالفقر والاختلافِ الطَبَقی وإساءة استعمال النفطِ:

إنّ الفقر والفاقة فی أیّ بلدٍ، دليلٌ علی عدمِ كفاءةِ زعمائِه فی تدبيرِ الظروفِ الاقتصاديةِ المثلي لِشعبِه. والعراق مع كلِّ ما فيه من ذخائر النفطِ، كانَ يكثرُ فيه الفقرُ والمسكنةُ، لأنَّ السلطةَ الحاكمةَكانت تصرفُ الأموالَ الناتجةَ من بيعِ ثروةِ النفطِ لشراءِ المعدّاتِ العسكريةِ أو لضمانِ الرخاءِ والراحةِ لعددٍ معدودٍ من كوادر السلطاتِ العليا أو ممّن ينتمی إليهم. يعتمد عدنان الصائغ لتصوير المفارقات فی العراق إلی أسلوب التقابل بينَ التناقضات ليوقدَ التوهج الشعوری والعاطفی فی الكلمات:

إلی مَ يظلُّ بكلِّ العصورِ / يجوعُ العراق / وتلک روابيه تطفو علی النفطِ / إلی مَ يجفُّ الفرات

/ وفی كلِّ بنک جداولُهُ تترقرقُ/ فی كلِّ صک نری دمعة ثاكلة / آهِ.. أحلامنا الذابلة[1] (الصائغ، ١٩٩٦م: ١٢٩)

فقد قابل الشاعر بينَ المتناقضات، حينما وضع صوراً متفارقة كـ"جوع العراق" و"روابية تطفو علی النفط"، و"جفاف الفرات" و"ترقرق الجداول فی البنوک"، و"الصک" و"دمعة ثاكلة" جمع بين الصورتَينَ ليوازنَ بينهما وبينَ الواقع الّذی يشاهدُ فی العراق. والاستفهاماتُ المكرّرةُ تُعَدُّ اعتراضاً جليّاً علی الظروفِ الحاكمةِ.

وفی قصائدَ أخری ينتقدُ الشاعر كيفيةَ تقسيمِ الثروةِ فی العراقِ ويوظّفُ التقابلَ بينَ التناقضاتِ إلی جانبِ اهتمامه بجرسِ الكلمات وإيقاعها:

سهواً تجيءُ الملوک / وسهواً نجيءُ / فمَن قسَّمَ الأرضَ ما بيننا: / فلهُم قمحُها / ولنا قحطُها / ولهُم نفطُها ولنا لَغطُها[2] (الصائغ، ١٩٩٦م: ١٣٠-١٣١)

١. إشاره إلی أنشودة المطر لبدر شاكر السياب.
٢. اللّغَط : الصوت والجلبة.

كرّر الشـــاعر كلمة "سهواً" مرّتين ليبينَ أنّ الملوك والناس فى الولادةِ سواسيةٌ ولكن التفاوت يظهر بعد ذلک، وبعد تقسيم الأرض وتقسيم الصور المضادّة من الفقر والثروة. إنّ استخدامَ كلمات متجانسة كـ"قمح"، "قحط"، "نفط"، و"لغط" تأكيدٌ للتشابه إلى جانبِ التفاوت. الجمال الإيقاعى فى هذه البنود، زاد هذا التجانسَ ليؤثّرَ فى المتلقى.

فضح سياسةِ القوّةِ والاحتيال والتوسّع:

إنّ فضـــح حقيقـــةِ الدعاياتِ الدبلوماســـيةِ وتنويرالرأى العامِ يعـــدّ نوعاً من أنواع المقاومةِ والمقابلةِ، وللشـــعراء دورٌ أساسيٌّ فى هذا الأمر. وعدنان الصائغ شاعرٌ مناضلٌ لم يألُ أىَّ جهدٍ فى هذا المجال. حيث يســـتخدمُ الأســـاليبَ المختلفةَ كالجدّةِ، والتمسخر، والقصة، والمثل، والنقد المباشر وغيرَ المباشرِ لتبصيرِ النّاس.

قصيدةُ "تباعُد" فى ديوان "تكوينات" مثالٌ من هذا النوع:

كلما نصبوا حاكماً / نصبوا ألف مشنقة / وانقسمنا على الموتِ / بينَ الحروبِ / وبينَ السجونِ (الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٤٧)

فى هذه المقطوعة إشـــارةٌ إلى بيتِ شـــعرٍ صينىٍ قديمٍ يقول: «إنَّ نصبَ جنرالٍ واحدٍ يعنى عشـــرة آلاف جثة» (الزريبى، ٢٠٠٨م: ١٩) فى بعـــض الأحيان ينتقدُ الصائغ ظلم الحكام بأسلوبِ مزاحٍ مريرٍ:

تأتى الفصولُ وتذبلُ / تأتى الجيوشُ وترحلُ / تأتى الملوک وتبقى.. / يشيّدُ أحدهم قلعةً من جماجمنا ليهدمها آخررررررر (نفس المصدر: ٥٣٣)

يعربُ عدنان عن تشـــاؤمه فى هذه الأشعارلأنّ كلّ من يأتى يرحلُ إلّا الملوک. إنّهم يحافظونَ على نفوســـهم بالقلاعِ المستحكمةِ الّتى تُشيَّدُ بجماجمِ النّاس. كرّر الشاعر فعل "تأتى" وحرفَ "الراء" ليُلهِمَ المخاطبَ إيقاعاً بصوتِ هدمِ القلعةِ الّتى شيّدها ملكوخرّبها ملک آخر، أو يُشـــيرَ إلى تكرار الإرهابِ وظهورِ ملوک غاشمين فى التاريخ وحكاياتِ ظلمهم.

وفى مواطـــن أخري يوظّفُ عدنان أســـلوبَ المناجاةِ الحلّاجيةِ للشـــكوى من الظلمِ

والطغيان. فيخاطبُ اللهَ مباشرةً كالحلّاج ويبثُّ شكواه من الآلام لينتقدَ الظروفَ السائدةَ بشكل غير مباشر:

وأكتبُ للربّ عشرَ رسائل / من ورقِ الدمع / أبعثُها بالبريدِ المسجّل / لكنّه لايردّ على عبدِه / فلمن أيّها الربُّ / نبعثُ آلامَنا الكامدة... / أكنت تقولُ عبادک فی تعب / فإلى مَ الأعنّةُ مشدودةٌ منذ ألفٍ بأعناقنا (نفسُ المصدر: ٢٧٢)

وقد تناصّ شعره مع الآية الكريمة: ﴿لقد خلقنا الإنسانَ فی کبد﴾ ليعترضَ على المكابداتِ الحالية. يتكلمُ مع الله ويرفعُ الشكوى. لكنّ حقيقة الأمر هى أنّ الشاعر انزعجَ من ظروفِ المجتمع ولبس قناعَ الحلّاج للوصول إلى هدفِهِ وجعل يصرخُ صراخَ الصمودِ أمامَ الظلمِ والاستبداد.

وتحتلّ إدانة سياسةِ التوسّع والحروبِ المتوالية، حيّزاً واسعاً من طرقِ مقاومة نظام صدام حسين فی اشعار الصائغ. يشرحُ د.ابراهيم اسماعيل موقفَ عدنان الصائغ من الحربِ هكذا: «عايشَ الصائغ الحربَ فی خنادقها وسواترها المتقدمة وتلمَّسَ بحرفيةِ التعبير بشاعاتها، فأصبحت همّه اليومى وصارت له فيها رؤية سياسية- اجتماعية حققت فردانيته! لم تمتدح قصائد الصائغ الحربَ كما كانَ مطلوباً رسمياً، و لم تمجد بطولة أحد، و لم تصف معركةً، ولم تتحدّث عن يومٍ من الأيام الّتى جعلها النظام مقدسة بسبب أحداث الحربِ، و لم ترد فيها كلمة النصرِ أو روحه، و لم تحرض على القتالِ بل على العكس فقد عكست القصائد الوجه الحقيقى والبشع للحربِ وأشارت بجلاء لنتائجها المدمرة وخاصةً ما تركته فی تهشيمِ النفسِ العراقية، وطالبَ بإيقافها، وراح يتساءلُ عن جدواها ولماذا وقعت أصلاً...» (اسماعيل، ٢٠٠٢م: ٥)

ولهذا يفضحُ الشاعر كنهَ مقاصدِ الدكتاتور، صدام حسين، من إضرام نارِ الحربِ:

قالَ الدكتاتورُ الحامضُ /كلُّ جماجمِ شعبى لاتكفى /كى أصنعَ عرشاً أبدياً لطموحى /ومضى بعساكرِهِ يفتَحُ آفاقاً أخرى (الصائغ، ١٩٩٦م: ٢٠٠)

يسعى الدكتاتور إلى تحقيقِ آمالِه فقط، ولا يعير أهميةً لنفوسِ الشعبِ: فيدرک الشاعر كنهَ الدعاياتِ السياسية وإساءة استعمالِ الأحاسيس القوميةِ والوطنيةِ. وإذا به يندّدُ

بالشعاراتِ الوطنية التى لا تعدو كونها وسيلةً للتوسعِ الأكثر:

آه، يا وطنى / أكلّ بلادٍ تسوقُ أبناءَها للحروبِ العقيمةِ / تُدعى: وطن (الصائغ، ٢٠٠٦م: ٦٩٢)

يشيرُ الصائغ إلى ويلاتِ الحروب ليندّدَ بالحربَ ونتائجها؛ فيلجأ إلى لسانِ طفلٍ يخاطب أمهُ ويسألُها عن زمانِ رجعةِ أبيهِ من الحربِ كى يطرحَ المشكلةَ الّتى واجهها أطفالُ الحروبِ وهو خبرُ موتِ آبائهم:

متى يأتى بابا؟ لاأدرى، كلٌّ يحملُ موتَ الآخر فى كفَّيهِ... (الصائغ، ١٩٩٦م: ٢٧١)

والأراملُ الّتى بقينَ بعدَ الحربِ، هى من المشاكلِ الأخرى للحربِ:

وماذا ستنشرُ أرملةٌ فى نهارِالسلامِ سوى حبلِ أحلامها (نفس المصدر: ٣٨٨)

وكما لاحظنا فإنّ الصائغ عاشَ مؤرخاً للحربِ ولوقائعها السرية عكسَ شعراء المديح الّذينَ زوّروا هذا التاريخ. فاستخدمَ الأساليبَ المختلفةَكالفكاهة والجملِ الاستفهامية وقناعِ الحلّاج.

د- التشجيعُ على الثورة وحمايةُ الانتفاضات الشعبية:

يحرّضُ عدنان الصائغ الشعبَ العراقى على التحرك ويستدعى الرموزَ الدينيةَ كقيام عاشوراء والرموزَ التاريخيةَ كحادثةِ صفين والرموزَ الطبيعيةَ كالريح والنخل للدعوةِ إلى القيام. يشـيرُ عدنان إلى بيان حال الإمام الحسين (ع) قبلَ شهادتِهِ فى العاشرمن المحرم فى كربلاء: إذا كان عصرى لايستقيمُ

بغيرِ دمى، يا سـيوفُ خذينى / خذينى فقد أتعبتنى الحياةُ / بظلّ الطغاةِ...(الصائغ، ١٩٩٦م: ٥٢٣)

كأنَّ الشـاعر يوقظُ بهذا الاستدعاء انتباهَ الشعبِ العراقى المعاصر لأصحاب الأمامِ الحسـين (ع) ويدعو إلى الثورة. إضافةً إلى قيام الإمام الحسـين (ع)، يشيرُ عدنان إلى

كفاح عيسى المسيح لتشجيع الشعب العراقى على القيام:

كلّ شلوٍ من الحسين فراتُ / كلّ قطرةِ دمٍ.. تصيحُ / -على خشبِ الصلبِ- / موتى حياة (نفس المصدر: ١٢٧)

فى رأى الشاعر، أنّ الإمام الحسين عليه السلام وإن استشهدَ إلاّ أنّ قطرات دمه تتوزّعُ فى الفرات وتعمُّ الثورة كلَّ العالمِ كما أنّ كلَّ قطرةٍ من دمِ المسيح(ع) تصيح: إنَّ موتى حياةٌ.

ويلجأُ عدنان إلى حادثة صفين التاريخية ليدعو المحايدين من الناس إلى الكفّ عن العناد والسيرِ إلى صوتِ الجهاد:

أصرخُ يا أيّها الواقفون / _على الحدّ- / فى حربِ صفين

..... / فانزلوا عن مطايا العناد / وسيروا حفاةً بهذى الوهاد / لصوتِ الجهادِ (نفس المصدر: ٨٨)

وفى دعوتِهِ إلى الصمود يعتمدُ الرموز الطبيعية. «النخل» للصائغ رمزٌ للمقاومة العراقيةِ أمام مشاقّ الدهر:

تبقى النخلةُ.. / عطشى / وتموتُ.. / ولا تحنى قامتها.. للريح (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٦٦١)

و"الريح" رمزٌ للصعوبات السياسيةِ طوالَ التاريخ وكأنّ الشاعر يريدُ من الشعبِ العراقى أن يصمد كالنخيل أمام العراقيل وضيمِ الاستبداد.

لطالما دعم عدنان الانتفاضاتِ الشعبيةَ فى شعره خاصةً الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م[١]. والتى شارك فيها ونجا من أتون مجازرها بمعجزة، إذ لم يسكت أبداً، بل صوّرَ جرائمَ البعثيين من إيذاء وسجنٍ وقتل وإرهاب فى أشعارِهِ، وندّدَ بعاملى المجازر فى الإنتفاضةِ ورثى شهداءها. مرثيةُ الشهداء أومرثيةُ المقاومة –على حدّ قولِ موسى بيدج– من عناصر المقاومة فى شعر الشعراء المناضلين (بيدج، ١٣٨٩ش: ١٨) يرثى الصائغ

١. لقد جاءت الإنتفاضة الشعبية فى العراق، ردّاً على الهزيمةِ الساحقةِ التى منى بها نظام بغداد فى الأزمةِ الخليجية الثانية والتى تسبب بها عدوانه العسكرى ضد الكويت كما أنها جاءت ردّاً على النهج الديكتاتورى لنظام بغداد... استطاع النظام قمعها بقنابل النابالم وإشارات الدول الخائفة من الانتفاضة. (الماجد، ١٩٩١: ١٧-١٩)

شـهداء الانتفاضةِ ليصرّح بمقاصدهم المقدّسةِ الّتى استشهدوا من أجلها، ويصيح بلسانِ شهداء الإنتفاضةِ على القتلةِ الّذين يحكمونَ على الأرضِ أحراراً وإن أرادوا أن يكتموا صراخَ الشهداءِ فى ضجيجِ الزمان:

كـم صخرة / تحتاجُ الأرضُ / لتكتم صراخَ شـهدائها / حينَ يمرُّعلى أديها القتلة (صائغ، ٢٠٠٤م: ١٣٩)

"كم" تتراوحُ بينَ التعجبية والإسـتفهامية ليسـتيقنَ المخاطب أنّ الشهداء لن يموتوا أبداً.

قذف طاغية العراق جميع مقدسـات الناس من مساجد ومزارات بالرصاص، ومنها مرقـد الصحابى الجليل ميثم التمار، فلم يسـكت عدنان ورفـع عقيرته يجاهر بمثل هذه الجرائم:

أحصـىَ الرصاصَ الّذى نثـروُه علي قبر ميثم.../فى الطعناتِ الّتى قوّسـت جسـرَ أضلاعنا (الصائغ، ١٩٩٦م: ٨٣)

لقد قدّمت كربلاء قرابة عشـرين ألف شهيد. لهذا يستدعى الشاعر حادثة كربلاء فى زمانِ الإمام الحسين (ع) ليخفّفَ من وطأة حادثة كربلاء سنة ١٩٩١م:

أمرُّ علي سـاحةِ الطفِ، / أنظُرُ تلك الشفاهَ الّتى عفّرتها الحوافرُ (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٨٥)

يوظّـفُ عدنان قناعَ "يزيدَ" لصدام حسـين ليبوح بأنَّ الجرائـم التى ارتكبها صدام حسين ماكانَت أخفَّ مما ارتكبه يزيد:

مازال سيفُ يزيد / يمدُّ بساطَ الخلافةِ، / حتى انتهاء الزمان / ومازالَ رأسُ الحسين يكرُّر مأساتَهُ (نفس المصدر: ٨٦)

ينبّهُ عدنان الناسَ لكى لا ينسـوا شهداءَ الإنتفاضةِ الّذينَ استشهدوا أمامَ الدباباتِ ونُسيت أخبارهم فى زحمةِ المدينة:

هؤلاءِ الّذينَ تساقطوا أكداساً / أمامَ دباباتِ الحرس / هؤلاءِ الّذين تآكلت أخبارُهُم / شيئاً، فشيئاً

فى زحمة المدينةِ / إنّهم يتطلعونَ بعيونٍ مشـدوهةٍ / إلى قدرتنا علي نسـيانهم بهذه

السرعة (نفس المصدر: ١٩)

كما لاحظنا استدعى عدنان التراثَ الديني والتاريخي كثورةِ الإمام الحسين وحرب صفين ليحرّضَ الناسَ علي القيام. فيستخدمُ شخصيةَ "يزيد" قناعاً ليبدى جرائم صدام ويفصح عن ماهيتِهِ في التجاهر بالدين.كأنَّ الشاعر استخدم الشخصيات التراثية لحملِ البعدِ المنشود من هذه الشخصيات. يعتمدُ الشاعر على الجمل الاستفهاميةِ والأمريةِ أكثر من الخبريةِ، لأنّه يعرف أهميّةَ الجمل الإنشائيةِ للتحريض على الحركة وإثارةِ التفكير في الشعب العراقي.

إضافةً إلى الأمثلةِ المذكورةِ، نرى الدعوةَ إلى الثورة ودعم الانتفاضةِ جليّة في الصفحاتِ ٢٠، ٩٦، ١٨٢، ١٩٠-١٩٢و ٢٣٠ من ديوان "نشيد أوروك" وقصيدة "أوراق من سيرة تأبط منفى" (صفحة ٩٩) وقصائد "....." (صفحات ٩٢-٩٣) و "تمثال" (صفحة ٩٤) من مجموعته الكاملة.

الثاني- الصمود أمامَ القوى الأجنبية:

الكفاح ضدّ سياسة أمريكا في العراق (المقاطعة والاحتلال):

يعدّ الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م من الأحداث المريرةِ في تاريخ العراق المعاصر. إذ احتلّت أمريكا العراقَ بعدَ عقدٍ كاملٍ من فرضِ المقاطعات المختلفة، الاقتصاديةِ منها والسياسيةِ فيما يسمّى حربُ الخليج الفارسي الثالثة. ومن الصعب التكهّن بمدي الخسائر المادية والمعنوية والإنسانية التي خلّفها العدوان الأميركي علي العراق ومازال هذا البلد يعاني من ويلاته ويقدّم المزيد من الضحايا بسببه. وقبل الاحتلال لم يكن موقف أميركا نزيهاً تجاه الشعب العراقي المضطهد، فمن أظهر جرائم الغرب تجاه الشعب العراقي في تلك الحقبة قتل مليوني عراقي نصفُهُم من الأطفال من جراءِ الحصار؛ حيثُ سلَّطَ على العراقِ فرسانَ القدر الأربعةِ: الجوع والموت والوباء والفقر. (حمدي، ٢٠١٠م: ١٦)

وقد اتّخذَ الشعراءُ مواقف مختلفةً من الاحتلال؛ أما الشعراء المناضلون وخاصةًشعراء المنفي فقد خالفوا الحصار والاحتلال وأزاحوا اللثام عن وجوهِ المحتلّين. وقد كان عدنان

الصائغ نازحاً مبعداً عن الوطن، فقد اطّلع علي مقاصدِهم المشؤومةِ، ونظمَ قصائدَ فى الدفاع عن الوطن ووصفَ المحتلّين بصور مختلفةٍ ليفضحَ شناعةِ أعمالهم ويعرّفَ أمريكا وحلفاءها المخادعين للشعبِ العراقى. فالصائغ يري أنّ جماعة من برابرة القرن العشرين ومن الظلاميّين قد تذرّعوا بممارسات طاغية العراق العنجهية فهبّوا لنهب العراق ونزح ثرواته، وإلقاء أهله فى دوّامة من الإرهاب والقتل والإبادة. وذلک بعد أن ساقوا عددا من أصحاب العمائم الزائفة من كلّ أنحاء العالم وجمعوهم فى العراق ليبيحوا دماء شعبه. فوصفهم جميعاً بالغربان:

وطناً تناهبَهُ الطغاةُ، / أو الغزاةُ، / أو الظلاميّون، / أو بعضُ العمائم ...

أو فَقُلْ ما شئتَ: شعباً جائعاً وحقولُهُ عاثَتْ بِها الغِربان (الصائغ، ٢٠١١م: ١٦)

وقد نُهِبَ ١٧٠/٠٠٠ أثر من متحفِ الآثار فى بغداد إبان الاحتلال الأميركى فبقيت هذه من الأحداث الفادحة فى ذاكرةِ الشعبِ العراقى. وصفَ عدنان المحتلّينَ بالبرابرةِ المتوحشين الذين سلبوا كلَّ شيء حتى الأحلام:

..... / مَا الّذى / أفعَلُ!؟ / البرابرةُ؛ الآن جاؤوا / سلبوا البيتَ أشياءَهُ / الروحَ أحلامَها

...../ها أنا أتلفّتُ /لم يبقَ لى غير تَخْتٍ قديم ، بوسْطِ الحديقةِ / وبعضَ سطورٍمسرّدةٍ (الصائغ، ٢٠١١م: ٣٨)

وفى موضع آخر يشبّهُ الشاعر المحتلّينَ بالخنازير تصويراً غيرَ مباشر، الخنازير الّتى حرثت الأرضَ وخرّبت حديقة العراق وعاثت فيه الفساد:

الحديقةُ هم حرثوها بأسنانِهم / وقد تركوا فى العراء معاولَهم / وعلي الصخر أسماءَهم / وبنوا حولى السورَ أعلي / وأعلي / ... (المصدر نفسه)

وقد ضغطت العقوباتُ الاقتصاديةُ على الشعبِ العراقى فى ظلّ الصمت الذى ساد

الأوساط الدولية، صرخَ الشعراءُ محتجّين ضدّ المحتلّين. وقد اعترض الصائغ على القادة والساسةِ وبعض رجال الدينِ الذين باعوا أنفسهم وتاجروا بدينهم من أجل حطام الدنيا يصفهم بالذبابِ الذى حدّقت عيناه علي اللحوم المكشوفةِ:

يمّرُ القادةُ تلو / القادة / والساسة تلو الساسة / وبعض رجال الدين

وهم يتطلعون إلى لحومنا المكشوفة فى الساحاتِ العامةِ للذبابِ والشعاراتِ (المصدر نفسه:٩٢)

"اللحوم المكشوفة" فى الساحاتِ العراقية، هى احتياطيات النفطِ والثروات الوطنية، وهذه المقطوعات الشعرية احتجاجٌ على الّذينَ مهّدوا الأرضيةَ للأجانب الأغراب ليستولوا علي ثروات الشعبِ العراقى. ويقدّم عدنان الصائغ فى قصيدة "حصار" صورةً بديعةً من ردِّ فعلِ الأوساطِ العالميةِ إزاءَ أزماتِ العراق والحصار والعقوبات. فيصفُ الشعبَ العراقى فى الحصار الدولى بالأسماك الّتى سُجنت وراءَ زجاجةِ الوطن، يختنقُ الهواءُ بها، وينظرُ العالمُ بأسره وخاصة القوي العظمي إلى شهقات هذه الأسماك:

نلوبُ بزعانفنا فِي طيات الماء / الهواءُ يختنقُ بِنا / والجالسونَ أمامَ زجاج حوضنا الأنيقِ / ينظرونَ بلذّةٍ لشهقاتنا الملونةَ وهى تخبطُ السديم / بحثاً عن بقايا الهواء / نحنُ الأسماك المحاصرة فِي حوضِ الوطن (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٣٩)

والحقيقةُ أنَّ فرضَ الحصارِ الاقتصادى علي العراق أدّي إلى سغب الشعب العراقى وحرمانه وجوعه، بينما النظام العراقى لم يعانِ قطّ من الحصار. وقد قُتِلَ آلافٌ من الأطفال والنساء نتيجة لهذه العقوبات أمامَ أنظار المنظمات الدولية. نظرَ العالمُ من وراء شاشةِ التلفزيون وتطلّع إلى احتضارِ العراق بلذّةٍ. ويضيف عدنان صورة أخري يصفُ فيها قادة الوطن غير الأكفاء الّذينَ يُدخّنونَ الوطنَ ويرسمونَ فى دخانِهِ عناقيد الكريستال فى صالاتِ قصورهم الخياليةِ، ولكن هذه الخيالات سرعان ما ستتبدّد:

بينما كانَتْ بلادهُ / تنفضُ رمادها / كان ينفضُ سيجاره الأجنبيَّ فى صحن أحلامِهِ / ويدخّنُ بلتذّذ راسماً فى دوائر الدخان المعطّر / -قبلَ أن يتبدّد – / عناقيدَ الكريستالِ فى صالةِ قصرِهِ / والشعاراتِ الّتى سيعلّقها / علي جدرانِ بيوتِ الطينِ (نفس المصدر:

(١٣٥

ذكرُ "الكريستال" بجانب "الشعارات"، و"صالة القصر" بجانب "جدران بيوت الطين" صورٌ متناقضةٌ لحقيقةِ الاحتلال: الآمال الفارغة من الشعارات الديموقراطية كالعدالة والحرية، والواقع الشنيع من جوع وقمع وقصف وإرهاب.

الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطينى المظلوم:

إضافة إلى الدفاع عن حقوق الشعب العراقى، يذودُ الصائغ بشعرِهِ عن حقوقِ الشعبِ الفلسطينى ويندّدُ بالأعمالَ الوحشيةَ الّتى ارتكبها الكيان الصهيونى ضدَّ فلسطين. قصيدة "خمسون قذيفة هل تكفى" من أشهر قصائد عدنان فى هذا المجالحيث يشيرُ فيها الشاعر إلى مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين باسِم "نهرالبارد" و"البداوى" وقد أصيبت بأضرار فادحة بسبب الحروبِ الداخليةِ فى لبنان ولا تترك ذاكرة عدنان مجزرة كفرقاسم[١] التى حدثت عند نعومة أظفاره فحزّت فى كيان كلّ مسلم غيور، وكذلك مأساة ديرياسين[٢] وتل الزعتر[٣] وإرهاب صبرا وشاتيلا[٤] ثمّ يثيرُ أسئلةً فى هذا المجال:

خمسون قذيفة! / فى صدر مخيم "نهرالبارد" و"البداوى"!! / خمسون قذيفة!.. / هل تصلحُ مانشيتاً لجرائدكم؟ / - خمسون قذيفة!.. / هل تكفى لفطورک يا مولاى!!؟ / لمخيّم "نهرالبارد" ...حينَ يجنّ الليل (نفس المصدر: ٥٤٧-٥٧٣)

يستغربُ الشاعر من مرتكبى الجرائم الصهيونية ويسألُ ستة عشر سؤالاً ليعربَ عن حزنِهِ وعن دهشته من صمتِ العالم أمام سحق أبسط الحقوقِ الإنسانية فى فلسطين. ويلفت الشاعر انتباهَ شعوبِ العالم إلى تمادى الكيان الصهيونى اللقيط فى غيّه.ويواصلُ عدنان الاستفهاماتِ ليبيّنَ أنّهُ لا يمكنُ التعويض عن هذه الخسائر:

---

١. كفرقاسم إحدى القرى الفلسطينية قتلت القواتُ الصهيونيةُ ٤٧ نسمةً منها سنة ١٩٥٦م. (ويكيبديا)
٢. ديرياسين من القرى الفلسطينية قربَ بيت المقدس، قتلت المنظمة الأهلية العسكرية لإسرائيل كلَّ مواطنيها تقريباً فى سنة ١٩٤٨م. (ويكيبديا)
٣. تل الزعتر، مخيّمٌ فلسطينىٌّ قربَ بيروت إشتهرَ بقلعةِ الصمود، فيه ٣٠/٠٠٠ نسمةً. هجمَ حزبُ الكتائب سنة ١٩٧٦ عليها و حصد أرواح المئات فى حربِ ٥٢ يومياً. (ويكيبديا)
٤. إبادة جماعية فى مخيّم اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان، قَتَلَ ميليشياتُ حزبِ الكتائب فى ظلّ الاحتلال الإسرائيلى حوالَى ٧٠٠ إلى ٣٠٠٠ نسمةً من الفلسطينيين فى مخيّمَى صبرا و شاتيلا. (ويكيبديا)

من يمنحُ "نهرالبارد"... قرصاً للنوم؟ / من يشتلُ في "نهرالبارد"، زهرةَ حبّ لاتستحقُها أقدامُ القتلة؟

من يكتبُ في "نهرِ البارد" مرثية هذا العصرِ ؟ / من يعرفُ أن لِـ"نهر البارد" طعم مياه الأنهار العربية، ممزوجاً بالدمِ؟

من يرسمُ عن "نهرالبارد" ملصق؟ (نفس المصدر)

يعترضُ الشاعر على الرقابة المفروضة علي أخبار فلسطين المحتلّة:

لمخيّم نهرالبارد...نشرةُ أخبار / لاتنشرها صحفُ العالم / فالتقطوا – ماشئتم – صوراً نادرةً، للذكرى

مع أحجارِ خرائبها / مع أشلاء بنيها / مع أمطارِ فواجعها (نفس المصدر: ٥٧٤)

ويدعو مخاطبيهِ لئلّا ينسَوا مأساةَ مخيّماتِ اللّاجئين الفلسطينيين :

من يتذكرُ كفر قاسم؟ / من يتذكرُ ديرياسين !؟ / من يتذكرُ تل الزعترا!؟ / من يتذكرُ كفر شاتيلا!؟

من يتذكرُ خمسين قذيفة... / في صدرِ مخيّم "نهرالبارد" و"البداوى"!؟ / من يتذكرُ.....!؟ / من.....!؟ (نفس المصدر)

تكرار "من يتذكرُ" إنذارٌ لمن يغمضون عيونَهم على هذه الأحداثِ الموحشةِ في فلسطين ولبنان.

ج- الدعوة إلى الوحدة والتنديد بالتفرقة والاختلاف:

تحاولُ الدُول الاستعمارية إثارةَ الخلاف في العالم الثالث. إلّا أنّ شاعراً ضليعاً كعدنان الصائغ ينتبه إلى هذه المخطّطات لذلك فإنه يدعو الناسَ إلى الوحدةِ وينهي عن النعرات الطائفية والدينيةِ ويستدعى الأحداثَ التاريخيةَ لبيانِ مقصودِهِ ويتقنّعُ ببعضِ الشخصياتِ كالمغيرةِ ليرسمَ الأوضاعَ الراهنة للعراقِ ويدعو إلى الوحدةِ. من وجهةِ نظر الشاعر، يسعى أمثالُ المغيرةِ في عصرنا الراهن لإثارةِ التفرقةِ بينَ الشعوب، وعلى الناسِ ألّا يصبحوا ألعوبةً في أيديهم:

فمـا زال فى كلِّ عصرٍ يدبُّ المغيرةُ[١] ما بيننا بعصا الفتنةِ الطائفيةِ. (الصائغ، ١٩٩٦م: ٨٥)

إنّ الأسـلوب القصصى المطعّم بشـىء من السـخرية، من أسـاليبِ عدنان الصائغ الشـعريةِ لرسمِ نتائجِ الخلاف وأسـباب الخيبات. قصيدة "تأبط منفى" فى ديوان "تأبط منفى" من هذا النوع، يصفُ الشاعر فيها لافتات تتقدّمُ، وحينما يختلفون، يسقطون. وفى النهايةِ تحوّلت غابةٌ من الشعاراتِ إلى غابةٍ من البنادقِ وهذا ما يريدُ الشاعر أن يؤكّدَ عليهِ ليُرى نتائجَ الخلافِ والتفرقةِ للمخاطبين:

لافتـاتٌ تتقدّمُ / بغابةٍ من الشـعارات / اختلفوا / من يتقدّمُ الأولَ / ثمّ تشـابكوا بالأيدى / ثمّ بالهراوات

ثمّ.. /سقطت اللافتات / ولم نرَ نحنُ المحتشدين على جانبَى الطريقِ / سوى غابة من البنادق / تتقدّم متشبكةً / باتجاهنا... (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٢٩)

فهـذا هو الخلافُ الـذى يؤدّى إلى المجازر الرهيبة. اختلـف القوم بادئ الرأى فى الرأى ثمّ اشتبكوا بالأيدى ثمّ استخدموا الهراوات ثمّ آل الأمر إلى جيش نظامى منتظم يحمل البنادقِ ويتقدّم نحو البلد وشعبه، وكلُّ هذا يؤدّى إلى هزيمةِ الشعوب الممزّقة بشتى أنواع الاختلاف أمامَ الأعداءِ المتّحدين.

النتيجة

عدنان الصائغ شاعرٌ مناضلٌ نظمَ أشعاراً فى موضوعِ الصمود أمام الممارسات البعثية التعسّـفية. انتقدَ عدنان فى شعرِهِ الإرهابَ، والقمع والاسـتبداد والوحشةَ، ونوّه بالفقر، والخلاف الطبقى وتبديد ثروة النفط فى سياسـات فاشـلة لم تخدم البلاد بل قادتها نحو الدمار، وحمل بلا هوادة علي سياسة التوسّع والنصب والاحتيال، وحاول إثارَة عواطف

١. ذَكرَ ابن عبد ربّه فى العقد الفريد: «و لما قدِمَ رجالُ الكوفةِ على عمربن الخطاب يشكونَ سعد بن أبى وقاص قال: من يعذرنى من أهلِ الكوفة. إن وليت عليهم التقى ضعّفوهُ و إن وليت عليهم القوى فجّروهُ – أى إتّهموهُ بالفجور– فقالَ له المغيرة: يا أميرالمؤمنين، إنَّ التقى الضعيف له تقواهُ و عليک ضعفُهُ و القوى الفاجر لک قوتُهُ وعليه فجوره. قالَ: صدقت، فأنتَ القوى الفاجر فاخرج إليهم. فلم يزل عليهم أيام عمر وصدراً من أيام عثمان وأيام معاوية حتى ماتَ المغيرة.» (ابن عبد ربه، ج١، لاتا: ٢٢)

الشعب العراقى للنهوض والثورة ودافع بشدّة عن الانتفاضات الشعبية خاصة انتفاضة ١٩٩١م.

خالفَ عدنان الصائغ الإحتلالَ الأمريكى ورسمَ الوجوهَ الحقيقيةَ للمحتلّين بالتشبيهات والقناعات التاريخيةِ المختلفةِ.

دافع الصائغ عن الشعب الفلسطينى وعارض الكيان الصهيونى فرَسَمَ جرائم الكيان الصهيونى الشنيعة الّتى ارتكبها فى مخيّمات اللّاجئين الفلسطينيين.

يستدعى الصائغ من أجل تجلية معانى المقاومة فى شعرِه الأحداث والأساطير التاريخية ويوظّفُ قناعَ هلاكو، والمغيرة، ويزيد، والبرابرة، ويوظّف الأحداث التاريخية – الدينية، كثورة الإمام الحسين أو صلب المسيح(ع) أو حرب صفين من أجل ترسيخ العزة والصمود ليدعو الناس إلى المقاومةِ والوحدةِ والانتفاضةِ. وفى ذلک يكثر من استخدام الجمل الإنشائية خاصةً الإستفهاميةَ لإثارة ذهن المتلقّى بالحركة. ويوظّفُ عنصرَ الحوار والقصيدة القصصية والمسرحية، وأسلوبَ الفكاهة والسخرية والتصاويرِ المتناقضةِ والشخصياتِ الرمزية كـ"عبود" والرموز الطبيعيةِ كالريح والنخل، لينوّرَ الأفكارَ ويشحذ همم أبناء الشعب العراقى ويدعوهم إلى الصمود.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

ابن عبدربه، احمدبن محمد. (لاتا). العقد الفريد. ج١. بيروت: دارالكتب العلمية.

حمدى، فاطمه. (٢٠١٠م). الشعرالعراقى فى أزمة التسعينيات، التوجهات والتكوين. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الآداب.

الزربى، وليد، عدنان الصائغ تأبط منفى: حوار ومنتخبات شعرية. (٢٠٠٨م). الطبعة الأولى. تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

شكرى، غالى. (١٩٧٠م). أدب المقاومة. الطبعة الأولى. مصر: دارالمعارف.

الصائغ، عدنان. (٢٠٠٤م). الأعمال الشعرية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـــــــ (١٩٩٦م). نشيد أوروک. قصيدة طويلة. (أ). الطبعة الأولى. بيروت: دارأمواج.

ـــــــ (٢٠٠٦م). نشيد أوروک. قصيدة طويلة. Pdf. (ب). الطبعة الثانية. بيروت: المؤسسة العربية

للدراسات والنشر.
الكبيسى، عمران خضير حميد. (١٩٨٢م). لغة الشعر العراقى المعاصر. الطبعة الأولى. الكويت: وكالة المطبوعات الكويت.
الماجد، ماجد. (١٩٩١م). إنتفاضة الشعب العراقى. الطبعة الأولى. بيروت: دارالوفاق.
مؤسسة جائزة عبدالعزيزسعودالبابطين للإبداع الشعرى. (١٩٩٥م). معجم البابطين للشعراء المعاصرين. مج ٣، الطبعة الأولى. كويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز.
المصادر الفارسية:
بيدج، موسى. (١٣٨٩ش). مقاومت وپايدارى در شعر عرب از آغاز تا امروز. چاپ اول. تهران: بنيادحفظ آثار وارزش هاى دفاع مقدس.
رفيعى، عبدالله. (١٣٨٩ش). صدام اين غريقه عرب. چاپ اول. تهران: انتشارات اميرمحمد.
كاگلن، كان، صدام (زندگى مخفى). (١٣٨٣ش). ترجمه نادر افشار وفروغ چاشنى دل. چاپ اول. تهران: موسسه انتشارات عطايى.
كشتار صبرا وشتيلا/كشتاركفرقاسم/كشتارديرياسين/كشتار تل زعتر. آخرين بازبينى (٢٠١٤/٧/٧) fa.wikipedia.org/wiki

المقالات العربية:

اسماعيل، ابراهيم. (٢٠٠٢م). «الإرهاب والخطاب المستتر». مجلة ضفاف. ع٩ شباط/فبراير. النمساء. عددٌ خاصٌ. الصائغ فى مرايا الإبداع والنقد.
عثمان، حمزة أحمد. (٢٠١١م). «اللغة العربية؛ مكانتها وقضاياها اللغوية». فصلية إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسى. السنة الأولى. العدد الثانى. صص ٩-٣١ .
الغريرى، خليل قاسم. (٢٠٠٤م). «الغزو المغولى وأثره فى الشعر». دمشق. مجلة جامعة دمشق. المجلد ٢٠. العدد (١+٢).

پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى
پرتال جامع علوم انسانى